السياسات المتوقعة لإدارة الرئيس بايدن من منظور مدارس العلاقات الدولية

زيد الأعظمي
خبير دراسات العراق في أورسام

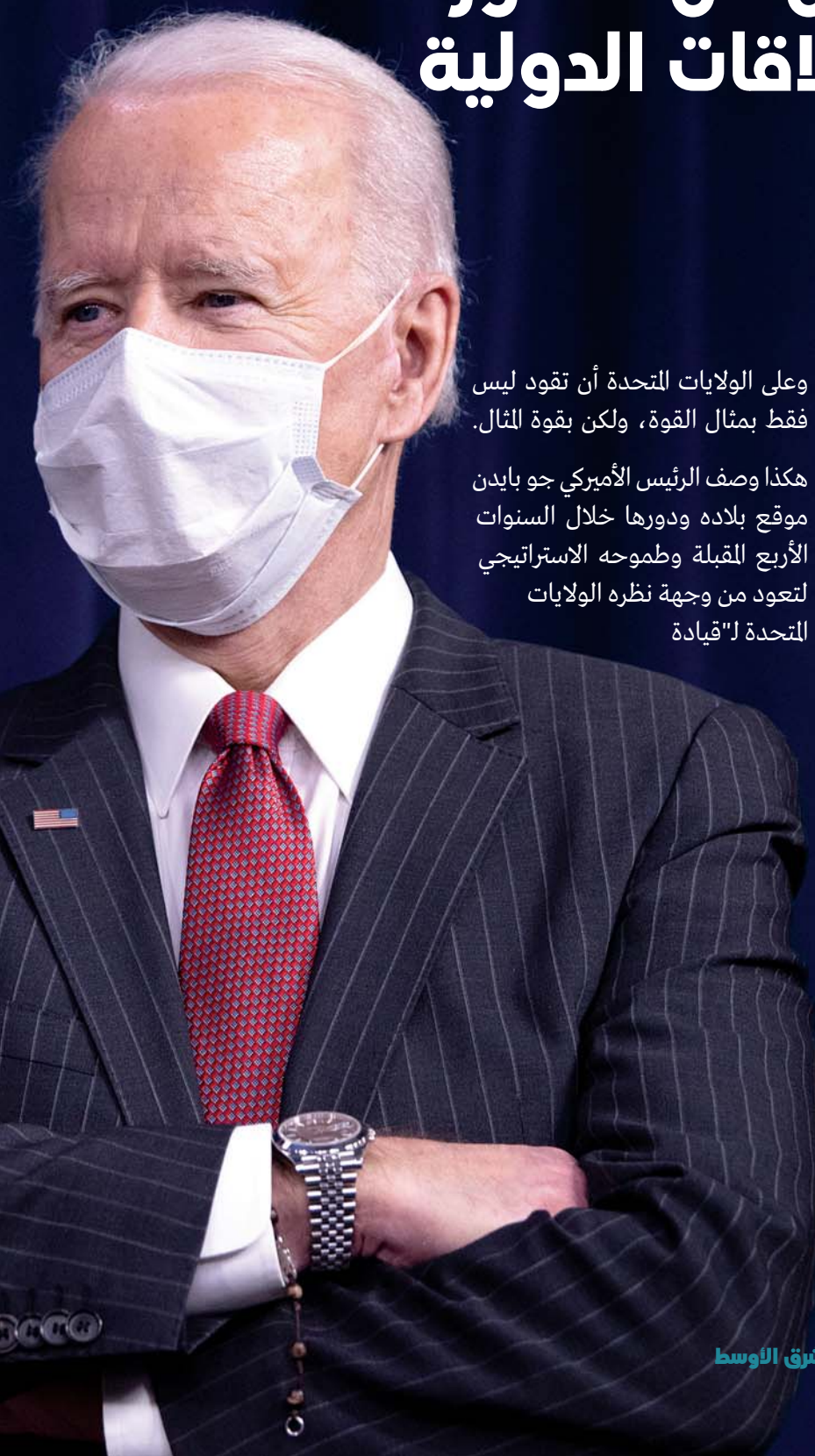

تحاول مدارس العلاقات الدولية ضمن أهم أهداف تأسيسها كأطر ومناهج نظرية بكافة توجهاتها الفكرية، تفسيرَ السلوكيات الخارجية للنظم السياسية والفواعل الدوليين لاستشراف مسارات الفعل وتفاعلاته الاستراتيجية.

وعلى الولايات المتحدة أن تقود ليس فقط بمثال القوة، ولكن بقوة المثال.

هكذا وصف الرئيس الأميركي جو بايدن موقع بلاده ودورها خلال السنوات الأربع المقبلة وطموحه الاستراتيجي لتعود من وجهة نظره الولايات المتحدة لـ"قيادة

الديمقراطية هي أصل مجتمعنا، ومنبع قوتنا، ومصدر تجديدنا. إنها تقوّي قيادتنا للحفاظ على أمننا وسلامتنا في العالم. إنها محرّك براعتنا التي تقود ازدهارنا الاقتصادي. إنها قلب من نحن وكيف نرى العالم، وكيف يرانا العالم. ولهذا فإن قدرة أميركا على أن تكون قوة من أجل التقدّم في العالم، وتستطيع تعبئة العمل الجماعي تبدأ من الداخل.

العالم" من خلال حزمة من القيم التاريخية الحاكمة وعلى رأسها الديمقراطية التي افتتح به كلمة تنصيبه رئيساً، وليحاول أيضا أن يؤسس لمرحلة جديدة ليس ذات صلة كلياً مع السنوات الأربع التي أدار بها الرئيس السابق دونالد ترمب البيت الأبيض، والتي تمايزت في سياساتها الداخلية والخارجية عن كل تجارب الرؤساء الأمريكيين السابقين.

رؤية بايدن للسياسة الخارجية الأمريكية

ارتكزت رؤية الرئيس بايدن للسياسية الخارجية الأمريكية على 4 مبادئ، ضمّنها في برنامجه الانتخابي:

أولا: تعزيز الديمقراطية الداخلية، وذلك من خلال استعادة الثقة في المؤسسات الأميركية، وإصلاح النظام التعليمي، والنظام الجنائي، وتأكيد الشفافية في النظام المالي للحملات الانتخابية، والتخلص من الأسباب البنيوية لعدم المساواة في المجتمع الأميركي.. إلخ.

ثانيا: استعادة وإعادة بناء القيادة الأخلاقية للولايات المتحدة، سواء فيما يتعلق بتحسين التعاطي مع المهاجرين خاصة النساء والأطفال، والمهاجرين الذين لا يحملون وثائق والذين يخدمون في الجيش الأميركي، إلغاء الحظر على البلدان المسلمة، الذي فرضه ترامب بعد توليه السلطة عام 2017، إعادة النظر في سياسات اللجوء لزيادة عدد طالبي اللجوء في الولايات المتحدة، حظر التعذيب ودعم الشفافية في العمليات العسكرية، إعادة إحياء الالتزام بدعم الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان حول العالم، وذلك من خلال الدعوة لعقد قمة عالمية من أجل الديمقراطية.

ثالثا: اتباع سياسة خارجية تساعد في إعادة بناء الطبقة الوسطى الأميركية، وذلك من خلال مواجهة السياسات الاستغلالية للصين في الاقتصاد العالمي، والتأكد من اتباع سياسات اقتصادية تعود بالنفع على المواطن الأميركي.

رابعا: استعادة الدور الأميركي في تعبئة العالم لمواجهة التحديات العالمية وأهمها التغير المناخي، وحظر سباق التسلح.

تحاول مدارس العلاقات الدولية ضمن أهم أهداف تأسيسها كأطر

ومناهج نظرية بكافة توجهاتها الفكرية، تفسّر السلوكيات الخارجية للنظم السياسية والفواعل الدوليين لاستشراف مسارات الفعل وتفاعلاته الاستراتيجية، ودائما ما يَنصب الجدل بين منظري مدارس العلاقات الدولية حول العقيدة السياسية للفاعل المحلي أو الإقليمي أو الدولي، وحول الإطار الفكري المحرك والضابط للتفاعلات. إن الإدراك التام لجزئية العقيدة السياسية سيسهل على الباحثين دراسة السلوكيات المتوقعة للنظم ولاسيما في الولايات المتحدة.

إلى أية مدرسة في العلاقات الدولية ينتمي الرئيس بايدن؟

تشتمل الافتراضات الفكرية للمدرسة الليبرالية في العلاقات الدولية، على الإيمان بالخصائص العقلانية للأفراد والإيمان بجدوى التقدم في الحياة الاجتماعية، والقناعة بأن البشر على الرغم من حرصهم على مصلحتهم الشخصية، فهم قادرون على التعاون وبناء مجتمع أكثر سلمية وتناغما. وقد عملت الدولة الليبرالية التي بناها في أذهانهم منظرو هذه المدرسة على نقل هذه المعتقدات إلى المجال الدولي من خلال تأكيد حقيقة مفادها: بإمكان التغلب على الحرب والصراع أو تخفيفها من خلال التغييرات المنسقة في بنى الحكم المحلية والدولية على حد سواء.

يصر منظرو النظرية الليبرالية في العلاقات الدولية على أن الديمقراطيات ستمتنع عن استخدام القوة ضد ديمقراطيات أخرى، وأن التجارة المهمة اقتصاديا تخلق حافزا للمحافظة على

العلاقات السليمة، وأنه يمكن للمنظمات الدولية أن تقيد صناع القرار من خلال تعزيز السلام بطريقة إيجابية.

يهتم الرئيس بايدن اهتماماً خاصاً بالسياسة الخارجية، فقد كان عضواً في لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ لعدة سنوات، بما في ذلك أربع سنوات ترأس خلالها هذه اللجنة. لقد أتاحت عضوية ونشاط الرئيس بايدن في لجنة العلاقات الخارجية له الفرصة لتكوين خبرة دولية كبيرة. الخبرة والاهتمامات الخارجية للرئيس بايدن ترجح قيامه بأدوار نشطة في مجال السياسة الخارجية أثناء رئاسته.

قدم الرئيس جو بايدن الإطار العام لسياساته الخارجية في دراسة نشرتها دورية فورين أفيرس في نيسان/أبريل من 2020 تحت عنوان: لماذا تقود أمريكا مرة أخرى: إنقاذ السياسة الخارجية للولايات المتحدة بعد ترمب"، وكما كتب الرئيس بايدن فإن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي تمتلك الامكانات العسكرية والاقتصادية والمنظومة القيمية، فضلا عن القدرة على حشد "العالم الحر" لقيادة العالم.

ولكن هذا يتطلب أولا أن تستعيد صدقيتها ونفوذها بين خصومها وحلفائها على السواء.

وتؤكد مقاربة الرئيس في نشرة فورين أفيرس: أن نهج ترمب الفوضوي وغير المنسجم في السياسة الخارجية وفشله في دعم المبادئ الديمقراطية الأساسية حول العالم، قادا إلى تراجع مكانة الولايات المتحدة، وقوضا تحالفاتها الديمقراطية، وأضعفا قدرتها على الحشد لمواجهة هذه التحديات. كما اتهم الرئيس بايدن ترمب "بالتخلي عن الحلفاء وإظهار الضعف أمام الخصوم ما أضر بقدرة الولايات المتحدة على مواجهة تحديات الأمن القومي إزاء كوريا الشمالية وإيران وسورية وأفغانستان وفنزويلا وغيرها". كما اتهمته "بشن حروب تجارية غير حكيمة ضد أصدقاء الولايات المتحدة وخصومها على حد سواء، على نحو أضر بمصالح الشعب الأمريكي.

ويرى الرئيس بايدن في مقالته تلك: أن التحديات التي تواجه الولايات المتحدة والعالم، كتغير المناخ والهجرة الجماعية والتهديدات السيبرانية

والأمراض المعدية أصبحت أكثر تعقيدا وإلحاحاً، وسيكون على الرئيس القادم إنقاذ السمعة الأمريكية وإعادة بناء الثقة بقيادتها لمواجهة التحديات الجديدة في أسرع وقت، والعودة إلى ممارسة دورها بوصفها قوة رائدة في إرساء قواعد العلاقات الدولية وصياغة الاتفاقات وتنشيط المؤسسات التي تضبط العلاقات بين الدول وتعزز الأمن الجماعي والازدهار.

بناءاً على هذه المقاربة الفكرية وما ورد فيها من سلسلة مصطلحات قيمية تتعلق بالسياسات الداخلية والخارجية الاستراتيجية، يمكن تصنيف الرئيس بايدن في خانة المنتمين إلى ما يُعرف بالمدرسة الليبرالية في السياسة الخارجية، وهي مدرسة معروفة في حقل العلاقات الدولية، ينطلق منظروها من أربع افتراضات رئيسية: أن التعاون، وليس الصراع، هو الأصل في العلاقات الدولية. أن الحوار والتفاوض، وليس القوة والسلاح، هو الطريق الأنجع لبناء العلاقات بين الدول. أن عقد الاتفاقات والمعاهدات طريقٌ مهمة لاستدامة علاقات جيدة وبناءة بين الدول. أن ثمّة أهمية كبرى لوجود منظمات دولية تعمل على حماية السلم والأمن الدوليين، وتساعد في مواجهة التحديات العالمية التي لا يمكن لدولة واحدة مواجهتها بنفسها.

ما يتضح من تصريحات الرئيس بايدن، خلال حملته الانتخابية وبعد اعتلائه مركز السلطة، هو أنه عازم على إحياء العقيدة الاستراتيجية الليبرالية الأميركية في مرتكزاتها الأربع الأساسية: العودة القوية للمؤسسات الدولية وتنشيط الدور الأميركي المحوري فيها، إحياء وتفعيل دوائر التحالف التقليدي بين الولايات المتحدة وشركائها الخارجيين وفي مقدمتهم أوروبا الغربية والحلف الأطلسي، الدفاع عن قيم حقوق الإنسان والديمقراطية خارج حدود الولايات المتحدة، مواجهة الخصوم الأيديولوجيين والاستراتيجيين التقليديين للولايات المتحدة وبصفة خاصة الصين وروسيا.

لقد أثبتت تجربة ترامب أن الخطاب القومي المناوئ للقيم الليبرالية لم يجعل الولايات المتحدة أكثر أمناً ورفاهيةً، ولم يفض إلى التغلب على خصومها الخارجيين، بل أضعفَ قدرتَها على التأثير الدولي حتى في حزامها الجيوسياسي المباشر.

لا يوجد لدى الرئيس بايدن نوازع انتقامية تدفعه لمعارضة سياسات الرئيس السابق ترامب لمجرد أنها جاءت من سلفه المختلف سياسياً وإيديولوجياً. فرغم الانقسام الإيديولوجي العميق في الولايات المتحدة، فإن المرحلة القادمة في السياسة الأمريكية لن تكون مجرد تطبيقاً معاكساً بسيطاً لسياسات الرئيس ترامب.

كان بايدن حريصاً منذ إعلان فوزه بالرئاسة الأميركية، أن يطمئن قادة العالم وخصوصا الحلفاء، بأن أميركا عائدة وسوف تقود العالم مجدّداً، فالرئيس في الولايات المتحدة دوماً في حاجة لمن يترجم هذه المبادئ والافتراضات إلى سياسات براغماتية وبرامج عملية. لذلك تكشف نظرة سريعة على فريق إدارة بايدن خصوصا فريق السياسة الخارجية والأمن القومي الذي تم تشكيله خلال الأسابيع الماضية، أن رؤية بايدن للسياسة الخارجية ليست مجرّد أمنيات أو رؤية مثالية، وإنما تعكس تعقيدات الساحة الدولية خصوصا بعد الأضرار الكبيرة التي أحدثها ترامب في علاقات الولايات المتحدة، سواء بحلفائها أو خصومها، فجميع من اختارهم بايدن كي يكونوا ضمن فريقه للسياسة الخارجية ينتمون للمدرسة الفكرية نفسها التي ينتمي إليها، والتي تميل، كما جاء أعلاه، إلى اتباع سياسة خارجية ليبرالية تركّز على التعاون الدولي، وبناء الجسور مع الحلفاء، والتفاوض مع الخصوم. ومعظمهم خدموا في إدارة أوباما عندما كان بايدن نائباً له، سواء تعلق الأمر بوزير الخارجية المرشح، أنتوني بلينكن، أو بمستشار الأمن القومي، جاك سوليفان. حيث لعب كلاهما دوراً محورياً في التوصل إلى الاتفاق النووي مع إيران، انطلاقاً من الافتراضات الأربعة المشار إليها آنفاً.

على أنه لا يجب الوقوع في فخ التبسيط والاختزال أو المثالية، فيما يخص السياسة الخارجية لبايدن، فالتحدّيات التي تواجهها الولايات المتحدة كبيرة جداً، وتكاد تكون غير مسبوقة. وهي تحدّيات ساهم في بروزها وتضخمها ترامب، بسياساته غير المفهومة في إطار مدارس العلاقات الدولية. ولذلك كان بايدن حريصاً، منذ إعلان فوزه بالرئاسة الأميركية، أن يطمئن قادة العالم، خصوصا الحلفاء، بقوله إن أميركا عائدة (America is back)، وسوف تقود العالم من على رأس الطاولة مجدّداً. ■